اثناء وجوده في المنطقة ، ولا يخلو كلام التسوية من اشارات غامضة الى امكان انجاز اتفاق ما في الجولان ، حتى ولو كان بمثابة « عملية تجميل » للخطوط الحالية .

ولم يستثن هذا الخط الفلسطينيين ايضا . ولكن الامر هنا يختلف نوعا وكما . فالواقع الفلسطيني لا يزال بعيدا جدا عن بلوغ ما وصل اليه الوضع المصري في بداية عام ١٩٧٤ . ولذلك فانه في تقدير بيرس ، قد يحتاج الى عدد اكبر من السنوات ، قد تطول الى ثمان . وعليه فالطاغي في الكلام الاسرائيلي عن الفلسطينيين هو الترهيب . ومع هذه الساحة ، لا يتوقف التعامل الاسرائيلي عند حد التهديد والوعيد ، بل يتجاوزه الى العمل العسكري المستمر ، المباشر وسواه . ورغم ذلك ، فهناك كلام عن « حكم ذاتي » في الضفة الغربية ، وتصدر احيانا تصريحات بشأن اقامة « اتحاد فدرالي » ، العنصر الثابت فيه هم فلسطينيون ، والمتغير هو اما اسرائيل أو الاردن ، تبعا للظروف والمواقف السياسية . ومهما يكن من امر ، لا تفوت المتحدث عند الادلاء بهذه التصريحات ، الاشارة الى ان هذا سيكون في المستقبل البعيد . وفي مرحلة معينة، صدرت تصريحات اسرائيلية ، شبه رسمية ، تنم عن استعداد اسرائيل للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، شريطة ان تعدل هذه عن ميثاقها الوطني ، وتعترف هي أولا بالدولة اليهودية . وكان واضحا ان الهدف من هذا الكلام هو اثارة الفتنة في الساحة الفلسطينية وشقها ، وبالتالي دفعها الى الاقتتال .

وعلى اي حال ، فان ما كان يسمى بالتضامن العربي ، والذي كثيرا ما اكد عليه الرئيس السادات ، وهو في بداية الطريق الى هذا الاتفاق ، كان اول ضحايا الاتفاق نفسه . والغريب اننا نسمع اليوم ترددا متواترا لعبارة « لم نستشر احدا » ، وأغرب من ذلك الافصاح عن الخلاف مع الرئيس الاسد منذ اليوم الاول بعد الحرب . ولا نأتي بجديد حين نشير الى الاضرار الجسيمة التي يتعرض لها النضال العربي عامة ، والفلسطيني خاصة ، نتيجة لتفتيت القوى العربية ، بينما العدو يبني قواه العسكرية . ولا بد هنا من الاشارة الى الفارق الكبير بين قوة العدو العسكرية وفاعليته السياسية . وفي وضع كهذا فانه يلجأ الى استعمال هذه القوة ، كلما عجزت فاعليته السياسية عن اداء الغرض المطلوب .

... تدعيم التصلب الاسرائيلي

بعد ان تم اتفاق الفصل بين القوات على الجبهة السورية ، توجهت الانظار في المنطقة ، كما في واشنطن ، الى الضفة الغربية والى الاردن والملك حسين . وطرحت مقولة التعادل والتكافؤ بين الجبهات ، وضرورة السير بخطى وئيدة ، ولكن على الجبهات الثلاث . وكانت الادارة الاميركية مهتمة جدا بانجاز اتفاق ما ، ولو كان رمزيا ، في الضفة الغربية ، يثبت الملك حسين شريكا في المفاوضات الجارية مع اسرائيل ، ويقطع على منظمة التحرير الفلسطينية طريق انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني في التحركات السياسية التي تجري في المنطقة . الا ان حكومة رابين ، التي لم تكن قد ثبتت اقدامها في الحكم بعد ، لم تجرؤ ، ولاسباب داخلية اساسا ، على التحرك في هذا المجال . فحكومة رابين كانت ملتزمة ببرنامج حزب العمل الانتخابي ، والذي ينص على الا تجري الحكومة تغييرا جوهريا في الوضع في الضفة الغربية دون استفتاء رأي الجمهور الاسرائيلي . وكان رابين يخشى ان يؤدي اي اتفاق في الضفة الغربية الى انتخابات عامة ، تذهب بحكومته وتقضي على مستقبله السياسي الناشىء . فكان اسهل عليه ان يخوض معركة مع الادارة الاميركية من ان يدخل حلبة الصراعات الداخلية ، وهو لا يزال حديث العهد في الحكم . واندلع على اثر ذلك خلاف